

## الدعوة إلى تدمير الآثار أ.د. لطيفة حسين الكندري

كتب أحد المختصين بالتراث الكويتي كتابا صدر حديثا (هذه السنة) ومدح المؤلف حادثة هدم مقام الخضر في جزيرة فيلكا، وشكر الشخص الذي دمر المقام لأن الناس كانت تتبرك فيه، وتذبح النذور عنده علما بأن مقام الخضر من المعالم الأثرية البارزة على مدار سنوات طويلة وكان أثرا سياحيا للزائرين. شكر مؤلف الكتاب الشخص الذي قام بإزالة وتدمير هذا الأثر ومدح شجاعته، وتدينه، وجميل تصرفه. وسرد المؤلف كيف تم استخدام الجرافة (تركتر) في الهدم عبر خطة محكمة -لا يكتشف من خلالها أثر الفاعل - لإزالة ذلك المبنى التاريخي لما فيه من الشرك إذ فيه طلب الرجاء من صخور لا تسمن ولا تغني من جوع.

وفي ضوء ما سبق: هل هذا التوجه يجب تطبيقه أيضا في سائر البلدان بنفس الخطط المحكمة التي ذكرها مؤلف الكتاب لحماية الناس من الشرك؟ هل الأصل هو المنع أم المناعة؟ هل توعية الناس وتنظيم الأمر أفضل أم تدمير المباني التاريخية بمجرد انحراف في استخدامها؟ هل من الحكمة في الكويت وخارجها أن نتعامل مع كل أثر تاريخي بالتدمير عندما يُستخدم على نحو خاطئ؟ هل الانحراف لدى البعض مسوغ للإصلاح أم للتدمير؟ هل الصور والتماثيل والآثار الوثنية يجب تدميرها أيضا؟

تساؤلات مرت في ذهني وأنا اقرأ وأسمع قبل أيام دعوة كثير من المثقفين لحماية الآثار في الكويت ووضع سياج حولها وحمايتها من المخربين والعوامل البيئية المضرة بسلامتها وانقاذها من الإهمال والنسيان وسوء التخطيط. هناك تقصير واضح من الحكومة ومجلس الأمة ومؤسسات المجتمع المدني في رعاية الآثار القديمة في وطننا الغالي. منذ طفولتي وأنا أعجب كل العجب عندما أشاهد آثار فيلكا دون حراسة ومهملة ولا تستفيد منها المؤسسات التعليمية ولا المؤسسات السياحية. آثار عمرها آلاف السنين لحضارات بادت لم نستطع إلى اليوم حمايتها فضلا عن استثمارها واعتبارها رأس مال ثقافي وتعليمي.

لقد زرتُ العديد من عواصم العالم، الغنية والفقيرة، فوجدت عناية فائقة، ورعاية لائقة بمعالمها التراثية لأنها تعطي البلد هوية

إنسانية تجذب الزوار من كل أصقاع العالم. تمدنا الآثار القديمة بثروة ثمينة ملموسة لإجراء دراسات علمية واسعة للتعرف على جوانب من المسيرة البشرية. يفتح علم الآثار آفاقاً جديدة للتعایش والحوار والتأمل عبر دراسة الماضي بسلبياته ومحاسنه. إن تدمير وتشويه الآثار الإنسانية لمجرد رؤية دينية واحدة من الاجتهادات الكارثية. لا بد من إصدار قرارات صارمة، وتشريعات حضارية حازمة تلزم الجهات المعنية بخطوات إجرائية فورية تحمي كنوز الوطن والإنسانية من الفوضى والنسيان والعبث والاجتهادات الخاطئة. الوعي بقيمة الآثار بداية المشوار، والعناية بالآثار قيمة حضارية عند الأمم الراقية. علم الآثار (Archaeology) علم جليل يرتبط بالتاريخ والأنثروبولوجيا ويقوم عبر هذا المنظور المزدوج بحماية المواقع الأثرية واستنطاقها. ليس من باب الترف أن يعرف المرء الكنوز التاريخية في بلده من أجل التعامل معها بفكر شفيف، وسلوكيات إبداعية خلاقة قبل فوات الأوان.